نشأة الأنثروبولوجيا:

اقسمت الأنثروبولوجيا وفق نشأتها وتاريخ تطورها إلى ثلاث مراحل حسب العصور التي وجدت فيها اللبنات الأولى لمفهوم الانثروبولوجيا على النحو التالي:

- الأنثروبولوجيا في العصر القديم
- الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى
- الأنثروبولوجيا في عصر النهضة

اولا: - الأنثروبولوجيا في العصر القديم : تقسم الى :

١-**عند الإغريق اليونانيين القدماء :** بعد المؤرخ الإغريقي اليوناني (هيرودوتس) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وكان رحالة محبا للأسفار أول من صور أحلام الشعوب وعاداتهم وطرح فكرة وجود تنوع وفوارق فيما بينها، من حيث النواحي السلالية والثقافية واللغوية والدينية، ولذلك يعتبره معظم مؤرخي الأنثروبولوجيا الباحث الأنثروبولوجي الأول في التاريخ، فهو أول قام يجمع معلومات وصفية دقيقة. عند عدد كبير من الشعوب غير الأوروبية (حوالي خمسين شعبا) حيث تناول بالتفصيل تقاليدهم وعاداتهم وملامحهم الصحية وأصولهم السلالية.

كما تناول أفلاطون (٤٢٨-٣٤٧ ق.م) دراسة السلالات البشرية وتقسيم المجتمع إلى طبقات طبقة الفلاسفة وطبقة الجلد وطبقة العبيد، كما تحدث عما يجب أن يكون عليه مجتمع أتينا في كتابه "الجمهورية" وبالرغم من الطابع الفلسفي لكتابات أفلاطون والتي تناقض ما تتجه إليه الدراسات الأنثروبولوجية السوسيولوجية من دراسة ما هو قائم، لا ما يجب أن تكون عليه الأمور، فإن فضل الفكر الفلسفي اليوناني خاصة عند كبار

فلاسفتهم. لا يمكن التقليل من شأنه أبدا وذلك لأن فلاسفة اليونان أخذوا من الحضارات القديمة وامتزجت فلسفتهم بها مثل الحضارة المصرية.

لقد انغمس أرسطو بدوره في التأملات الفلسفية عن طبيعية الجنس البشري، وفي الأنثروبولوجيا الفلسفية الخاصة به يناقش الاختلافات بين البشر والحيوانات على وجه العموم ويستنتج أنه رغم وجود حاجات مشتركة بينهم وبين الحيوانات، فالإنسان وحده هو الذي يحظى بالعقل والحكمة والأخلاق، لقد دفع بأن البشر في الأساس اجتماعيون بطبيعتهم.

٢- **عند الرومان :** امتد عصر الإمبراطورية الرومانية حوالي سنة قرون تابع خلالها الرومان ما طرحه اليونانيون من مسائل وأفكار لكنهم وجهوا دراساتهم نحو الواقع الملموس، ومع ذلك لا يحد الأنثروبولوجيون في الفكر الروماني ما يمكن اعتباره كإسهامات أصلية في نشأة علم مستقل الدراسة الشعوب وثقافاتهم أو تقاليد راسخة لمثل هذه الدراسات.

٣- **عند الصينيين القدماء :** يرى بعض المؤرخين أن الصينيون لم يعبأوا في القديم بالثقافات الأخرى خارج حدودهم، وهذا تابع من نظرتهم العنصرية، إذ كانوا يعتقدون كالرومان انهم أفضل الخلق، وأنه لا وجود لأية حضارة أو فضيلة خارج جنسهم.. بل كانوا يرون انهم لا يحتاجون إلى غيرهم في شيء ولكي يؤكد ملوكهم هذا الواقع، أقاموا " سور الصين العظيم حتى لا تدنس ارضهم بأقدام الآخرين ولذلك اهتم فلاسفة الصين القدماء بالأخلاق وشؤون المجتمعات البشرية من خلال الاتجاهات الواقعية / العملية) في دراسة أمور الحياة الإنسانية ومعالجتها، لأن معرفة الانماط السلوكية التي

ترتبط بالبناء الاجتماعي في أي مجتمع تسهم في تقديم الدليل الواضح على التراث الثقافي لهذا المجتمع، والذي يكشف بالتالي عن طرائق التعامل فيما بينهم من جهة، ويحدد أفضل الطرائق للتعامل معهم من جهة أخرى، وهذا ما يفيد الباحثين في العلوم الأخرى، ولا سيما تلك التي تعني بالإنسان.

ثانيا: الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى:

١-**في أوربا :** مع نهاية القرن الخامس الميلادي تقريبا بدأت السلطة المركزية لروما في التدهور والانهيار ودخلت أروبا في مرحلة من ارتداء الفكر وسميت هذه الحقبة بالعصور الوسطى لأنها وقعت بين عهدين الفلسفات الأوروبية القديمة في أثينا أو روما وعصر النهضة)، في هذه الفترة انتشرا الإرهاب الديني المسيحي في هذه العصور الوسطى تدهور التفكير العقلاني وأدينت آية أفكار تخالف التعاليم المسيحية أو ما تقدمه الكنيسة من تفسيرات للكون وسيطرت الكنيسة سيطرة مطلقة على اتجاهات التفكير الاجتماعي، وتجدر الإشارة على أنه إلى جانب الكنيسة وما ارتبط بها من مؤسسات دينية كالأديرة وغيرها، كانت هناك مراكز أخرى وجهت أيضا منطلقات المعرفة وحددت طبيعتها خلال العصور الوسطى للحضارة الغربية كبلاط الملوك الذي كان يضم في العادة فئات من المثقفين كرجال الإدارة والسياسة والشعراء ..

ظهرت في هذه المرحلة محاولات عدة للكتابة عن بعض الشعوب اتسمت غالبا بالوصف التخيلي بعيدة عن المشاهدة المباشرة على أرض الواقع مثال ذلك ما قام به الأسقف إزيدور حيث أعد في القرن السابع الميلادي موسوعة عن المعرفة وأشار فيها إلى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم، ولكن بطريقة وصفية عفوية تتسم

بالسطحية والتحيز فقد ذكر مثلا أن قرب الشعوب او بعدها عن أروبا يحدد درجة تقدمها فكلما كانت المسافة بعيدة، كلما كان الانحطاط والتدهور الحضاري مؤكدا، ليس هذا فحسب بل إنه وصف أولئك الناس الذين يعيشون في أماكن ثانية، بأنهم سلالات غريبة الخلقة حيث تبدو وجوههم بلا أنوف، وقد ظلت تلك المعلومات سائدة وشائعة حتى القرن الثالث عشر حين ظهرت موسوعة أخرى أعدها الفرنسي باتو لو مكوس والتي خطيت بشعبية كبيرة رغم أنها لم تختلف كثيرا عن سابقتها من حيث الاعتماد على الخيال على العموم فإن معظم التفسيرات التي قدمت في هذه الفترة كانت قائمة على التحيز العنصري والديني وسادت نظرية " الارتداد أو الانتكاس الحضاري: ، فالشعوب المسيحية الممتثلة الأمور الدين هي ارقى الشعوب أما بعض السلالات وخصوصا غير الغربية، فقد تدهورت من الحالة المثلى إلى الحالة الأدنى بسبب ما قاموا به من أفعال شريرة، وما يمارسونه من طقوس ومعتقدات شاذة وغربية.

٢-**العرب والمسلمين:** بدأت بوادر الحضارة العربية الإسلامية في الانتشار والازدهار خصوصا بعد الفتوحات الإسلامية فقد تم فتح عدة أقاليم من إسبانيا حتى الهند، وتضمنت هذه الحضارة الآداب والفلسفة والأخلاق والمنطق... وغيرها .

ومن أجل تنظيم نظام الحكم في البلاد المفتوحة كان من الضروري الاهتمام بأحوال الناس فبرز العرب في وضع المعاجم الجغرافية وإعداد الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن الرابع عشر الميلادي واعتمدت مواد هذه الموسوعات على المشاهدة والخبرة الشخصية وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الأنثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية.

ومن بين العلماء البارزين في هذه الفترة نذكر:

١-البيروني (٣٦٢- ٤٤٠هـ) وضع كتابا عن الهند بعنوان " تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة وصف فيها المجتمع الهندي وصفا دقيقا (اجتماعيا وثقافيا).

٢-الرحالة ابن بطوطة من خلال كتاباته ذات الطابع الأنثروبولوجي، والتي برزت في اهتمامه بالناس ووصف حياتهم اليومية، وطابع شخصياتهم وأنماط سلوكياتهم وقيمهم وتقاليدهم .

٣-المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي ابن خلدون (١٣٣٢- ١٤٠٦) كتب ابن خلدون تاريخا ضخما عن العرب والبربر، مزودا بمقدمة ضخمة نقدية طويلة حول استخدامه للمصادر فقد أنشأ أولى النظريات الاجتماعية، وسبق أفكار اميل دور كايم عن التماسك الاجتماعي.

٤- ابن خلدون ويؤكد أهمية القرابة والدين في خلق شعور من التلاحم والالتزام المتبادل بين أعضاء جماعة ما يتحدث ابن خلدون عن نشأة المجتمع الإنساني وتطوره ولا يستمر هذا المجتمع – حسب ابن خلدون – إلا بوجود سلطة قائمة خاصيتها الأساسية القهر بما تفرضه من نظم وقوانين وسلوك عام تخضع له الجماعة ككل، وبدون السلطات فهي حالة الفوضى المؤدية إلى الحرب والسلطان القاهر المنظم للمجتمع يستند بدوره إلى العصبية التي هي بمثابة مفهوم مركزي في التحليل الخلدونية النشأة المجتمعات وتطورها وانتشارها من المجتمعات العربية التي عاشها حالة واقعية لدراسته.

ثالثا : الانثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية:

بدأ عصر النهضة في أوربا في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي حيث شرع الأوربيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية والعربية، مترافقة بحركة ريادية نشطة للاستكشافات الجغرافية. وتبع ذلك الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية، والذي تبلور وتكامل في القرن السابع عشر . إن هذه التغيرات مجتمعة أدت إلى ترسيخ عصر النهضة (التنوير) وأسهمت بالتالي في بلورة الأنثروبولوجيا في نهاية القرن التاسع عشر ، كعلم يدرس تطور الحضارة البشرية في اطارها العام وعبر التاريخ الإنساني، الأمر الذي استلزم توافر الموضوعات الوصفية عن ثقافات الشعوب وحضاراتها، في أوروبا وخارجها، من أجل المقارنات والتعرف إلى أساليب حياة هذه الشعوب وترتيبها بحسب مراحل تطورية معينة بحيث يضع ذلك أساسا لنشأة علم الانثروبولوجيا.

وتميز عصر النهضة الأوروبية بظاهرة كان لها تأثير في توليد نظريات جديدة عن العالم والإنسان وهي أن المفكرين اتفقوا على الرغم من تباين وجهات نظرهم على مناهضة فلسفة العصور الوسطى اللاهوتية، التي أعاقت فضول العقل الإنساني إلى معرفة أصول الأشياء ومصادرها وتكوين الطبيعة وقوانينها وصفات الإنسان الجسدية والعقلية والأخلاقية. وظهر نتيجة لهذا الموقف الجديد اتجاه الدراسة الإنسان عرف بالمذهب الإنساني (العلمي) اقتضى دراسة الماضي من أجل فهم الحاضر، حيث

اتجهت دراسة الطبيعة الإنسانية وفهم ماهيتها وأبعادها وفق المراحل التاريخية التطورية للإنسان).